# الجيوسياسة (الجيوبوليتيك) : من الفكر إلى الأداة

# La géopolitique : de la pensée à l'outil

أ. رضوان بوهيدل: المدرسة الوطنية
العليا للعلوم السياسية / الجزائر

**ملخص**

لم يكن ظهور مفهوم الجيوسياسة مرتبط بظهور الكلمة أو المصطلح في نهاية القرن التاسع عشر، بل إن الفكرة سبقت ما يعرف اليوم بالجيوبوليتيك بقرون، أو بمعنى آخر، أن ممارسة الجيوسياسة وجدت قبل أن تسمى هكذا، فالفلاسفة والمفكرين القدماء اهتموا بالربط بين السياسة والجغرافيا، وتلاهم المفكرون في علم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحالة وغيرهم، مما أدى إلى ظهور علم الجغرافيا السياسية لاحقا ومن بعده الجيوبوليتيك أو الجيوسياسة.

ظهور المفهوم المعاصر للكلمة (الجيوبوليتيك)، أثار اهتمام عدد من العلماء والمفكرين والجامعيين والعسكريين والسياسيين، في مختلف أنحاء العالم لاسيما في نهاية القون 19 وبداية القرن 20، لكن بوجهات نظر مختلفة، وفي عدد من الأحيان تكون متناقضة.

من المدرسة الألمانية إلى المدارس الأنجلوساكسونية، ثم المدرسة الفرنسية والمدرسة الروسية ومن بعد المدارس المختلفة الأخرى، تختلف الرؤى والتصورات حول ماهية الجيوبوليتيك، وكيف يمكن لكل فاعل في العالم استغلال هذا العلم أو الأداة لصالحه، من أجل النفوذ والسيطرة والريادة والزعامة، أو اختصارا من أجل القوة عموما، لكن يبقى الاتفاق، من ناحية أخرى، حول أهمية المفهوم في تحليل العلاقات الدولية وتفسير الظواهر التي تعرفها اليوم.

**الكلمات المفتاحية:** الجيوسياسة، الجيوبوليتيك، فريديريك راتزل، كجيلن،

**Résumé.**

L'origine du concept de la géopolitique n'est pas liée à l'émergence de ce terme dans la Science politique à la fin du XIXe siècle, mais elle remonte à loin. En effet, l'idée a précédé l'emploi de ce mot, depuis déjà des siècles. En d'autres termes, la pratique de la géopolitique a existé avant qu'elle ne soit nommée ainsi.

L'histoire nous rappelle que d'anciens penseurs étaient intéressés par le décryptage des liens entre la politique et la géographie. Ensuite, des penseurs de différentes disciplines : la sociologie, l'histoire, la géographie, les voyageurs et les autres ont porté leur attention sur ce domaine. Au fil du temps et de la recherche, une nouvelle branche nommée géographie politique est née, et se transformant, par la suite, en l'actuelle « géopolitique ».

L'émergence du concept moderne du mot (géopolitique), a suscité l'intérêt d'un certain nombre de scientifiques et d'intellectuels et universitaires, militaires et politiciens, partout dans le monde, en particulier à la fin du 19ème siècle et début du 20ème siècle. Il est primordial de signaler que les maintes conceptions de cette discipline reflètent un certain nombre de contradictions.

Les visions et perceptions sur ce que la géopolitique sont différents. De l'école allemande aux écoles anglo-saxonnes à l'école russe en passant par l'école française, chacun cherche à transformer cette science en outil d'influence et de contrôle en sa faveur. Toutefois, malgré ces divergences, les spécialistes de cette discipline d'accordent pour affirmer que l'importance de ce concept se situe dans l'analyse des relations internationales et l'interprétation des phénomènes contemporains.

## مقدمة

أصبحت اليوم الجيوسياسة أو ما يعرف بالجيوبوليتيك، من بين أهم أدوات التحليل في العلاقات الدولية، والمقاربات التي يستعملها الباحثون في تحليل الظواهر السياسية بشكل خاص، مما أدى إلى توسع مجالات استخداماتها، كالاقتصاد والتاريخ والرياضة.. إلخ، بالإضافة إلى الاستعمالات المتعددة في وسائل الإعلام والاتصال.

.لكن تبلور مفهوم الجيوسياسة على ما هو عليه اليوم، لم يكن وليد الساعة، وإنما هو تراكم معرفي تاريخي، ساهمت فيه عدد من المدارس، لاسيما المدرسة الألمانية، الأمريكية، البريطانية والفرنسية، مع محاولة كل اتجاه تحوير المفهوم حسب إيديولوجيات كان سائدة عند ظهور المصطلح، أو حسب إيديولوجيات موجودة اليوم، فالجيوسياسة لدى الأمريكان ليست الجيوسياسة لدى البريطانيين، والجيوسياسة لدى الروس ليست هي لدى الفرنسيين، ومنه فمن الضروري الرجوع إلى اهم مراحل تطور هذا المفهوم، استخداماته المتعددة عبر فترات زمنية مختلفة، ومنه نطرح الإشكالية التالية :

**ما هي أهم مراحل تطور مفهوم الجيوسياسة، وأهم المدارس التي ساعدت في تبلور المفهوم على ما هو عليه اليوم؟**

للإجابة على هذه الإشكالية من الضروري العودة إلى الجذور الأولى للفكر الجيوبوليتيكي، الذي ظهر كممارسة، قبل ظهور المفهوم قبل حوالي أكثر من قرن.

على غرار عدد من العلوم وفروعها المختلفة، كان للجيوسياسة جذور قديمة جدّا، لدرجة أنها سبقت المفهوم المعاصر بمئات السنين، فأصل الجيوسياسة كفكر وكممارسة، يعود بالدرجة الأولى لعلم آخر هو الجغرافيا، ثم لأحد فروعه، وهو الجغرافيا السياسية. وكلا العلمين يعتبران من أقدم العلوم التي عرفها الإنسان، وهذا ما يفسر اهتمام الجغرافيون بالجيوبوليتيك أكثر من غيرهم من المفكرين.

يعود التفكير الأول، في علاقة السياسة بالأرض أو الفضاء الجغرافي، إلى العصور القديمة، وهذا حسب ما جاء به عدد من الفلاسفة والمؤرخون الأوائل، الذين أكدّوا باختلاف توجهاتهم وأفكارهم العلاقة الوطيدة بين الموقع الجغرافي للدولة وسياستها، وهي النقطة التي اتفق عليها الجميع، مما ساهم بوضع البنية التحتية، لما يعرف اليوم بالجيوبوليتيك، أو الجيوسياسة.[1]

يمكن القول أن البداية كانت مع المؤرخ والأنثروبولوجي الإغريقي، هيرودوتس(Hérodote)[2] في مؤلفاته التاريخية المتعددة، أين قال أن "سياسة الدولة، تعتمد على جغرافتيها"[3].

وعلى نفس المنوال سار الفيلسوف أرسطو، ما بين 384 و332 قبل الميلاد، عندما تحدث في مؤلفه "السياسة"، عن المعايير المثالية لنجاح توسع ما أسماه بـ"المدينة"، كما تحدث أرسطو في نفس الكتاب عن أهمية ودور الموقع الجغرافي وتأثيره، حيث أعطى مثالا على أهمية الموانئ في التبادل التجاري.

من جهته، المفكر الجغرافي ذو الأصول الفرنسية، سترابون (Strabon) الذي عاصر الفترة ما بين 60 و25 قبل الميلاد، تحدث في كتابه "الجغرافيا"، المكوّن من 17 مجلداً عن وضعية العالم آنذاك، حيث ربط، بشكل صريح ومباشر، بين الجغرافيا والحياة السياسية، أين أكد أن الحركية البشرية تؤثر على الفضاء الجغرافي. فالجغرافيا حسب سترابون مرتبطة بممارسة الحكومة، وتأثيرها - الجغرافيا - على الحكام.

أمّا في القرون الوسطى، فكان للجيوسياسة كفكرة وجود عند المفكر ابن خلدون (1332 - 1406) من خلال كتابيه "التاريخ" و"المقدمة"، أين ركز على حجم الدول وتطورها من خلال التوسع الجغرافي وزيادة حجم أراضيها، حيث يرى ابن خلدون أنه، على الدول أو الإمبراطوريات أن تواظب على تسيير فتوحاتها أو غزواتها، وإلا فإنها تتجه نحو النهاية.

على صعيد آخر، تساءل ميكيافيلي (1463 - 1527)، عن كيفية التعامل مع "عالم عدائي"، حيث تحدث عن شرعية استعمال القوة من أجل

النجاح، الذي يُعتبر بالنسبة له ضرورة حتمية، فبنجاح ما أسماه بـ"إقليم الدولة" يمكن بناء الأمة والدفاع عنها وبذلك استمرارها.

ورغم تعدد الآراء، الخاصة بالمفكرين القدامى والفلاسفة حول أهمية الأرض بالنسبة للدولة، وأهمية الجغرافيا بالنسبة للسياسة، إلا أن النقلة النوعية في الفكر الجيوسياسي القديم كانت للمفكر الفرنسي مونتيسكيو (Montesquieu)، في الفترة ما بين 1689 و1755، من خلال كتابه "روح القوانين" « Esprit des lois » عام 1748، ونظيرته الشهيرة حول المناخ، ثم من خلال كتابه الدفاع عن روح القوانين (Défense de l’esprit des lois) عام 1750، الذي ربط من خلاله "مونتيسكيو" وجود قوانين في بلد معين مرتبط بالدرجة الأولى بالمناخ والبيئة، كما ربط المفكر الفرنسي الجغرافيا بالاقتصاد، وهذا من خلال العوامل الطبيعية التي تؤثر حسبه على النهج السياسي الذي تتخذه الدول، ومن بين أهم تلك العوامل حسب "مونتيسكيو" هي البحار والمحيطات، كما ركز "مونتيسكيو" على الحياة المعيشية للأفراد، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثير المناخ فزيائيا وبشريا، دون تجاهل العوامل الطبيعية الأخرى.[4]

يقول "مونتيسكيو"، في الجزء الثالث من كتاب "روح القوانين"، أن "مختلف الحاجات في مختلف المناخات، هي من تكوّن طرق العيش المختلفة، وهذه الأخيرة هي من تقوم بتشكيل القوانين"[5].أي أن مونتيسكيو، تعرض إلى فكرة تأثر الأفراد المشكلة للدول بالمناخ، فعلى سبيل المثال، المناخ الفرنسي يساعد على تطوير النظام السياسي، حسب نفس المفكر.

يجب القول أن علاقة الجغرافيا بالسياسة برزت بشدة، مع بروز المفهوم المعاصر للدولة، وذلك من خلال عدة كتابات، على غرار "بودان" (Bodin) في كتابه "الكتب الستة للجمهورية"، وكذا "بوتيرو" (Botero) الذي خصص مجموعة من عشرة كتب حول "حكم الدولة"، و"فوبان" (Vauban) وكتابه "انتصار المنهج". من ناحية أخرى قام كارل ريتر (Carl Ritter)[6]بتطوير ما عرف بنظرية دورة نمو الدول، وهذا مقارنة مع العوامل الطبيعية أو العضوية، وهذه الدورة تمر براحل حياتية كأي كائن حي، من الولادة ثم النضج وأخيرا الموت[7].

من جهته، تعرض نابوليون بونابارت، إلى فكرة الجيوسياسة عندما قال أن "كل دول تمارس سياسة جغرافيها"، لكن بقيت الجيوبوليتيك مجرد أفكار فلسفية وتاريخية بالدرجة الأولى، تحدثت في مجملها عن علاقة السياسة بالجغرافيا، حيث لم ترقى لتكون علما، أو على الأقل مقاربة علمية، تعتمد على مناهج علمية واضحة مثلما هي عليه اليوم، إضافة إلى الخلط الواضح بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، في هذه المراحل الزمنية القديمة[8].

لذلك يمكن القول أن العالم شهد عدة تحولات جيوسياسية قبل الوصول إلى ظهور المفهوم، مثل شراء منطقة ألاسكا التي كانت تحت حكم روسي من قبل الأمريكان عام 1867 وثورة كوبا ضد الإسبان، قبل الوصول إلى انفصال باناما عن كولومبيا عام 1901.

**ظهور المفهوم الكلاسيكي للجيوبوليتيك وتطوره:**

لا يمكن تجاهل بعض الكتابات التي تطرقت إلى ظهور الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك على غرار كتاب بيار سيلوريي (Pierre Célerier) الصادر عام 1969(Géopolitique et Géostartégie) أين أرجع أصل المفهوم إلى كل من فوبان (Vauban) ومونتيسكيو (Montesquieu)، الذين سبقا ذكرهما، لكن نفس الكاتب لم ينكر فضل السويديرودولف كجلين(Rudolf Kjellén) الذي كان إجماع المفكرون حوله بأنه أول من قام باستخدام مفهوم الجيوسياسة.

ففي عام 1904 وخلال محاضرة بعنوان "القوى الكبرى في الحاضر"، والتي كان يلقيها أستاذ العلوم السياسية، الجغرافي والبرلماني السويدي رودولف كجلين(Rudolf Kjellén)، بجامعة غوتبورغ (Göteborg) ثم بجامعة إبسالا (Uppsala) قام بذكر مصطلح الجيوسياسة لأول مرة، ليعاود ذكره مع الكثير من التفصيل من خلال كتابه الصادر في العام الموالي (1905) بعنوان "القوى الكبرى"(Stormakterna)،كجيلن استوحى من أفكار الألماني فريديريك راتزل (Friedrich Ratzel)، وعلى وجه التحديد من كتاب هذا الأخير "الجغرافيا السياسية" الصادر عام 1897، أين قام بتشبيه الدولة بالكائن الحي الذي يولد ثم ينمو ويكبر قبل أن يمرض ثم يموت، وتشاء الصدف أن يلقى

البريطاني هالفوردماكيندر (Halford Mackinder) محاضرة في نفس السنة(1904) وتحديدا في 25 جانفي، بعنوان "المحور الجغرافي للتاريخ" ( le pivot géographique de l'histoire)، ويبقى أهم ما قاله ماكيندر خلال هذه المحاضرة هو "من يتحكم في قلب العالم (Heartland) فهو يتحكم في الجزيرة العالمية(World Island)، ومن يتحكم في الجزيرة العالمية فهو يقود العالم"، لتبدأ بعد ذلك مرحلة توظيف المفهوم الجديد لصالح الدول[9].

وقد عرَّف رودولف كجلين في كتابه "القوى العظمى" الجيوسياسة على أنها "علم الدولة كتنظيم جغرافي وككائن في الفضاء، مثلها مثل علم السياسة، فالجيوسياسة تدرس الوحدة الدولاتية وتبحث عن المساهمة في تفسير الطبيعة الدولية"[10]. من هنا يتجلى لنا في البداية أن الدولة عنصر أساسي في الجيوسياسة، لكن هذا مرتبط بحراكية أو ديناميكية هذا العنصر في فضائها الجغرافي، من خلال الموقع والحجم خاصة، لكن يبقى مفهوم كجلين للجيوسياسة كلاسيكي إلى حدّ كبير.

كجلين طرح من خلال كتابه الصادر عام 1916 "الدولة كتنظيم حي" (Statensomlifsfrom)[11] الجيوسياسة على أنها إحدى الأنظمة الجديدة في تفسير الحكومات، بالموازاة مع علم الاقتصاد السياسي، الديمغرافيا السياسية، علم الاجتماع السياسي والكراتوبوليتيك أو ما له علاقة بسلطة الدولة.[12]

رغم كل ما قدمه "كجيلن" لنشر مفهومه الجديد "الجيوبوليتيك"، إلا أنه لم يلق رواجا كبيرا في مراحله الأولى، لولا ظهور اهتمام به من طرف جمع من المختصين والمفكرين، كل قام من جهته بإثراء الجيوسياسة التي جاء بها كجيلن، بداية بالإنجليزي ماكيندر(Mackinder) ومواطنه بارسي ركسبي (Percy Roxby)

والألماني روبير سياغر (Robert Sieger) والأمريكي باومن (Bowman)، إضافة إلى التفاف فروع علمية أخرى لدعم الجيوسياسة، على غرار الجغرافيا بقيادة فوجال(Vogel)و كرابس (Krebs)، العلوم السياسية بقيادة ديكس (dix) وفوتشكي (Wütschke) وعلم الخرائط تحت ريادة بونكار (Pencker)

أو ما كان يعرف بـ"مدرسة فيينا"، ولم تسلم الجيوبوليتيك حتى من اهتمام علماء البيولوجيا وعلى رأسهم شالماير (Schallmayer) وإينولد (Unold).

و ما زاد في انتشار أفكار كجيلن هو ترجمة كتابه "القوى الكبرى" لمرتين متتاليتين، أولى عام 1916 والثانية عام 1924 من طرف أحد رواد حقل الجيوبوليتيك فيما بعد وهو الألماني كارل هاوسهوفر.

تطورت الجيوسياسة في ألمانيا بشكل كبير لاسيما في فترة ما بين الحربين، على يد كارل هاوسهوفر (Karl Haushofer)، من خلال المجلة المتخصصة في الجيوسياسة (ZeitschriftfürGeopolitik)، لكن سرعان ما تعرضت أفكار هاوسهوفرللنقد من طرف الفرنسي آلبار ديمانجون ( Albert Demangeon) في مجلة Annales de Géographie بداية من 1932.[13] وهذا بسبب الإيديولوجية النازية التي طغت على أفكار الفكر الجيوسياسي الألماني.

**من الجيوسياسة الكلاسيكية إلى الجيوسياسة المعاصرة**

يمكن القول أن مفهوم الجيوبوليتيك لم يعرف شكله العلمي وإن كان المبدئي، إلا في 1936 عندما أصدر الفرنسي جاك أنسل (Jacques Ancel) كتابه "الجيوسياسة" (Géopolitique)، أين وجه انتقادات لاذعة للأفكار الألمانية في فترة ما بين الحربين العالميتين، بسبب نزعة الألمان التوسعية والسلطوية، مما فتح المجال لمفكرين بريطانيين وأمريكيين وفرنسيين للبحث في المفهوم وتطبيقه، كل حسب توجهاته وأيديولوجياته، لكن كل بما يخدم بلده، لكن لا يمكن بالمقابل أن ننكر فضل المدرسة الألمانية على انطلاق الجيوسياسة كحقل معرفي جديد.

إن كان الطابع المصلحي، القائم على الإيديولوجية أو القومية، طاغيا على الجيوسياسة في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، خدمةً للأهداف السياسية للدول، فإن نهاية الحرب العالمية الثانية كان لها تأثير على الجيوسياسة، التي غلب عليها آنذاك الطابع الإيديولوجي، لدرجة أن بعض المختصين وصفوا هذه المرحلة بنهاية الجيوسياسة، ولم تعرف هذه الأخيرة

انتعاشا حقيقيا، لاسيما على المستوى الأكاديمي والجامعي، حتى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي.

في نفس السياق، يمكن القول أن الجيوبوليتيك كحقل معرفي جديد كاد يعرف نهايته مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وهذا عندما أُسيء استعماله لتحقيق أهداف ذات طابع عدواني. ولولا إعادة وضع الجيوسياسة في قالبها العلمي والأكاديمي في نهاية السبعينات وتحديدا لتحليل الحرب الفيتنامية ثم حرب فيتنام على كمبوديا، لكانت نهاية الجيوبوليتيك.

فبعد الحرب العالمية الثانية عام 1945، كان يمنع في عدد كبير من الدول استعمال مفهوم الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك لارتباطه بالألمان والنازية، وهذا ما أدى إلى حدّ كبير إلى العزول عنها في الدراسات والتحليلات السياسية للأوضاع حتى كاد يندثر تماما سواء في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى الاتحاد السوفياتي، الذي كان يعتبر استعمال الجيوبوليتيك بمثابة جريمة، كل هذا رغم التحولات الجيوسياسية التي وقعت ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية ونهاية السبعينات، على غرار اتفاقيات يالطا (les accords de Yalta)[14] في فيفري 1945 وما نتج عنها من تقسيم ألمانيا وحتى بولونيا مما خلق حدود جديدة تحت رقابة فواعل خارجية، ثم تقسيم الهند بعد الاستقلال ونفس الشيء فيما يخص كوريا وفيتنام عام 1954، وحتى في فرنسا فقد تم إبعاد مصطلح الجيوبوليتيك لاسيما أثناء الثورة الجزائرية تفاديا لأي استغلال إيديولوجي.[15]

### أهم مدارس وروّاد في الجيوسياسة

تعددت المدارس التي اهتمت بالجيوسياسة كوسيلة أو فرع أو حقل معرفي جديد، وهذا بتعدد المفكرين من مختلف أنحاء العالم الذين ساهموا، كل من جهته في تطوير وإثراء الجيوسياسة كل حسب أيديولوجيته وتوجهاته القومية، لكن يمكن القول أنه رغم تعدد هذه المدارس إلا أننا يمكن حصر أهمها في أربع، بداية بالمدرسة الألمانية ثم البريطانية فالأمريكية أو ما يعرف بالاتجاه الأنجلوساكسوني، إضافة إلى المدرسة الفرنسية التي لم تخرج كثيرا عن

سابقاتها وإن أضفت لمسة خاصة بالتوجه الفرنسي، وفيما يلي أهم مدارس الجيوسياسة وأهم الرؤى والتوجهات الخاصة بها وبرُوادها:

**المدرسة الألمانية**

إن ظهور الجيوسياسة وتطوره للوهلة أولى بألمانيا تحديدا دون غيرها من الدول، لم يكن وليد صدفة، بل جاء كون المنظرين في هذا المجال حاولوا المساهمة في تنمية القوة الألمانية على الساحة الدولية من خلال دعم علمي وأكاديمي حتى تتمكن دولتهم من اللّحاق بالقوى العالمية الموجودة آنذاك على غرار بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، أي أن دافع المفكرون الألمان كان مبنياً على أساس وطني وقومي محض.

تعتبر المدرسة الألمانية للجيوبوليتيك من أولى المدارس التي نشأت بعد ظهور المفهوم، لدرجة أن هناك بعض الكتابات ترجع الفضل في خلق "الجيوسياسة" للمدرسة الألمانية. لكن من ناحية أخرى كل الكتابات أجمعت أن المدرسة الألمانية أول من ساهم في وضع الأسس والقواعد الأولى لمفهوم الجيوسياسة، حيث اعتبر الألمان هذا المفهوم بمثابة وسيلة علمية للدراسة والبحث العلمي، لاسيما في مجال العلوم السياسية، وقد ركزت هذه المدرسة على المقاربات التي طرحها فريديريك راتزل (Friedrich Ratzel)، وهو ما ساهم بشكل كبير في نشأة ما عرف آنذاك بمدرسة برلين. وقد تطورت أفكار هذه المدرسة مع قيام "الرايخ الثاني"، من خلال محاولة إعطاء الشرعية على الفكر التوسعي الذي كان يقوده هتلر آنذاك.[16]

ركزت المدرسة الألمانية تحت فكرفريديريك راتزل، على ضرورة السيطرة على منطقة أوراسيا، أو كما تعرف بقلب العالم، وأن بلوغ هذا الهدف يعني التفوق العالمي. راتزل ترجم أفكاره من خلال كتابه "الجغرافيا السياسية" عام 1897 ثم في كتاب آخر عام 1901 يحمل عنوان "قوانين التوسع المكاني للدول"، من خلال هذه الكتابات، راتزل لم يخفي، بعد زيارة قادته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تأثره بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الرامية إلى السيطرة العالمية على أساس بناء دولة قوية على أساس التوسع الجغرافي

الخارجي مما يدعم مشروعهم السياسي[17]، وهو ما دفعه كألمان أولا وكمفكر ثانيا لإعطاء سبل تحقيق القوة لبلاده ألمانيا.[18]

راتزل انتقد ضيق الحدود الأوروبية، لذلك كان يدعو إلى ما أسماه "أوروبا وطنية" أو "أوروبا قومية" تكون تحت القيادة الألمانية، والمقصود بـ"أوروبا وطنية" هو أن الأوروبيون، جماعات كانوا ام أفراد، لا يلزمهم دين ولا لغة ولا جنس، بل الرقعة الجغرافية التي توحدهم، وبذلك يمكن أن تطمح أوروبا إلى سيادة العالم، لكن في سياق متصل لم ينكر راتزل الحاجة إلى التحالف مع آسيا، لاسيما الشرق الأقصى حتى تتمكن أوروبا من تجسيد طموحها، وهو ما يمكن تفسيره ميدانيا حين تحالفت ألمانيا مع اليابان أثناء الحربين العالميتين.

إذا تركز راتزل في مقاربته الجيوسياسية كان على بناء أوروبا عظمى وقوية تكون تحت هيمنة ألمانية، فقد لاحظ من خلال جولة قادته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أن ألمانيا باستطاعتها منافسة بريطانيا التي كانت تعتبر إمبراطورية عظمى بنت قوتها على أساس قوة بحرية. في نفس السياق يمكن القول أن فريديريك راتزل حدد عدداً من الأفكار المحورية للتوسع الجغرافي تمثلت في كون التوسع الإقليمي يجب أن يقابله تطور ثقافي، إضافة إلى ضرورة تعزيز القوة الاقتصادية، التجارية وحتى الأيديولوجية، كما وصف راتزل الحدود على أنها عضو حي تم تحويلها في وقت ما إلى مادة، وبذلك فهي قابلة للتغيير والنمو وحتى الزحزحة ما لم تجد مقاومة من الجيران وبذلك يكمن القول أن فريديريك راتزل هو أول من وضع مفهوم "المجال الحيوي" (Lebensraum).[19] وهو ما أكده عدد من المفكرين وعلى رأسهم إسحاق بمان (Isaac Bowman) "في كتاب "العالم الجديد" (The New World)، و"ديرونت وتيسلي (DerwentWhittessley) "في كتاب "الأرض والدولة"(The Earth and State).

رغم أن أفكاره كانت تهدف لأوروبا أوسع ودفاعه عن السلطة والقيادة الألمانية، إلا أن راتزل اتُهم باستعمال المنهج العلمي للتحريض على الحروب وتشجيعها، كذا إعطاءها الشرعية، لكن تبقى أفكاره الدافع الأساسي للتوجه الألماني التوسعي للرايخ الثاني ثم الثالث.

ثاني أهم رواد المدرسة الألمانية للجيوسياسة هو العسكري والضابط السامي في جيش هتلر، كارل هاوسهوفر (Karl Haushofer) الذي لم يخفي ولعه وتأثره بكتابات راتزل الذي ألهمه لتطوير هذا الحقل المعرفي الجديد.

أصدرها وسهوفر في 1912 من خلال كتابه (Dai Nihon)، الذي استلهم من أفكار وكتابات راتزل مع التركيز على الأخطار الناجمة عن الجيوسياسة، التي تعني خلق فضاء واسع حي، لذلك هاوسهوفر قسم العالم إلى أربع أقاليم، الأول أوروبي مع ضم إفريقيا يكون بزعامة ألمانيا، الثاني يشمل القارتين الأمريكيتين ويكون تحت ريادة الولايات المتحدة الأمريكية، والثالث الأقاليم هي آسيا الوسطى وشبه الجزيرة الهندية والجزيرة الأسترالية وتكون بزعامة الاتحاد السوفياتي (سابقا)، أما آخر الأقاليم والذي يشمل ما تبقى من قارة آسيا الشرقية، وتكون تحت الزعامة اليابانية.

على غرار راتزل ساهم هاوسهوفر بشكل كبير وفعال في وضع الأسس والقواعد الأولى للجيوسياسة من خلال التركيز على دراسة عوامل قوة الدولة، ومدى علاقتها بالموقع الجغرافي. وبذلك يمكن القول أن المفكرون الألمان، لاسيما الجغرافيون منهم، قاموا بتطويع الجيوبوليتيك كمنهج علمي لخدمة الحزب النازي، الذي كان يقوده هتلر، والتعويل على هذا المنهج للتخطيط للحرب التوسعية.

هاوسهوفر طالب بالتحالف بين ألمانيا من جهة، الذي اعتبرها قوة برية واليابان من جهة أخرى التي قال أنها قوة بحرية، وهذا لمواجهة المدّ التوسعي للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. بالمقابل عارض هاوسهوفر التوسع من الجهة السوفياتية (الروسية حاليا) ومهاجمتها، إضافة إلى معارضته الشديدة للسياسة الألمانية آنذاك المناهضة لليهود، مبررا وجهة نظره بأن الأرض هي من تجمع وتوحد الشعوب وليس العرق أو الدّين.

من الملاحظ أن المدرسة الألمانية تأثرت بمقاربات كارل ريتر (Carl Ritter) الطبيعية والبيئية والمدرسة الداروينية الإجتماعية وحتى أفكار من لُقب بـ"أب مصطلح بيولوجيا" الفيلسوف إنستهيغل (Ernst Haeckel).

تعرضت المدرسة الألمانية إلى انتقادات عدة بسبب اعتمادها على أفكار النازية الرامية إلى التوسع وإعطاء الشرعية لاستعمال القوة للوصول إلى هدفها، وهذا ما أدى إلى اندثار هذه الأفكار واعتبارها غير ناجحة ميدانيا، لاسيما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج ألمانيا منهزمة منها.

**المدرسة الأنجلوفونية**

رغم تقارب في الأفكار لرواد الاتجاه الأنجلوفوني إلا أن بعض الإختلافات في الرؤى دفعنا إلى تقسيم هذا الاتجاه إلى مدرستين رئيسيتين، هما المدرسة الأمريكية والمدرسة البريطانية.

**المدرسة البريطانية**

ترتكز المدرسة البريطانية، التي يقودها الأميرال هالفورد ماكيندر (Halford Mackinder) على أساس مفهوم القوة البحرية، وهو مفهوم مرتبط بالدرجة الأولى بجغرافية الجزر البريطانية، التي تعتمد في حماية نفسها وتوسعا ومبادلتها التجارية على أسطولها البحري القوي[20].

عندما كتب المفكر البريطاني ماكيندر عام 1904 "المحور الجغرافي للتاريخ"، كانت أفكاره مبنية على خشية بريطانيا من الطموح المتزايد للتوسع الجغرافي الذي شهده العالم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فقام ماكيندر بتطوير "نظرية الهارتلاند" (Heartland) الذي يعتبر محور العالم، وتحديدا منطقة أوراسيا (Eurasie)، والذي يشمل الإتحاد السوفياتي (سابقا) إضافة إلى سيبيريا والهيمالايا وجنوب شرق آسيا، فبالنسبة لماكيندر، من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على أوروبا الوسطى، ومن يسيطر على أوروبا الوسطى يسيطر على جزيرة العالم (Heartland)، ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم. ذا التفكير الجيوسياسي حسب ماكيندر، كان يدعو إلى منع تحالف السوفييت مع الألمان، والمطالبة بالتحالف بين الأنظمة ذات الطبيعة الجغرافية تستدعي قوة بحرية[21].

## المدرسة الأمريكية

يعتبر الأميرال ألفريد ماهان (Alfred Mahan) من بين أوائل المفكرين الذين اهتموا بالجيوسياسة في العالم، وهذا قبل 1914، حيث كان تركيز ماهان مُنصباً على محاولة الإجابة على سؤال جوهري وهو : كيف يمكن لبلده (الولايات المتحدة الأمريكية) أن تكون قوة عالمية عظمى؟. ففي هذا الصدد قام الأميرال الأمريكي بدراسة طبيعة الصراع التنافسي ما بين فرنسا وبريطانيا منذ حكم لويس السادس عشر وإلى غاية حكم نابوليون الأول، وهذا فيما يخص السيطرة على البحار والمحيطات، حيث اكتشف ماهان، نظرة بريطانيا الجيوسياسية للأمور، مما مكنها من التغلب على فرنسا في هذا المجال من خلال الانتشار الواسع في ما وراء البحار لاسيما من خلال التحكم في أهم نقاط العبور البحري على غرار ممر جبل طارق وقناة السويس، وهذا ما كانت تفتقده الرؤية الفرنسية التي تاهت آنذاك ما بين التطلعات التوسعية والأحلام الاستعمارية.

من جهته طالب نيكولا سبيكمان (Nicholas Spykman) إلى ضرورة الجمع بين البر والبحر للوصول إلى القوة والسيطرة، وهذا من خلال كتابه الصادر عام 1938 والذي يحمل عنوان "الجغرافيا والسياسة الخارجية" ( Géographie et politique étrangère)، أين عارض بقوة أفكار هوسهوفر، وحتى مواطنه ماكيندر لم يسلم من النقد، حيث رفض سبيكمان "نظرية الهارتلاند"، مبررا كل هذا بفشل التحالف الروسي الألماني ابان الحرب العالمية الأولى.

بالنسبة لسبيكمان منطقة "الريم لاند" (Rimland)، الواقعة ما بين جزيرة العالم (Heartland) والبحار المحيطة بقلب العالم، وهي منطقة صراع بين القوى البرية والقوى البحرية، فمن يسيطر "الريملاند" يسيطر على منطقة أوراسيا ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم. ويفسر سبيكمان الصراع هنا بمراجعة تاريخية لما وقع أثناء الحرب العالمية الأولى ما بين السوفييت والبريطانيين حول آسيا الوسطى، لذلك يجب منع توحيد أوروبا وآسيا.

نظرية سبيكمان في الجيوبوليتيك ساهمت في وضع القواعد الأساسية للسياسة الأمريكية القائمة على الاحتواء لاسيما بعد إنشاء منظمة حلف شمال

الأطلسي وحلف جنوب وشرق آسيا عام 1954 وحلف بغداد عام 1955، وهذا ما يفسر بالدرجة الأولى التواجد البحري الأمريكي والبريطاني وسيطرتهم على القواعد العسكرية الأهم في العالم، إضافة على مواظبة الولايات المتحدة على منع أي تقارب أوروبي روسي أو روسي إيراني، ولمواجهة ما يعتبر الأمريكيون المدّ الروسي، حيث نلاحظ التواجد المكثف للولايات المتحدة الأمريكية في آسيا الوسطى، أفغانستان، جورجيا والاهتمام الكبير كذلك ببحر قزوين.

تمخض عن أفكار سبيكمان مقاربتين أساسيتين، الأولى "النظرية المواجهاتية" (théorie confrontationnelle)، وهي ما جاء به صاموئيل هينتيغتون (Samuel Huntington) من خلال كتابه الصادر عام 1997 "صراع الحضارات" (Le choc des civilisations)، حيث يقدم رؤية شاملة للعالم من زاوية حضارية، وهو ما يرتبط بالجغرافيا البشرية والمادية، فالنموذج الأمريكي ليس عالميا وإنما يمثل قيم حضارة معينة[22].، حسب صاموئيل هينتيغتون فالعالم مقسم إلى أقاليم مسيطرة من طرف قوى كبرى، الأولى هي الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، منطقة كونفوشية[23] بزعامة الصين، والقطب الأرثودوكسي بزعامة روسيا، والعالم الإسلامي الذي يفتقد إلى زعامة، حسب المفكر.

تيار آخر، وصف بالوطني جاء بزعامة كينيت والتز (Kenneth Waltz) أين ترجم أفكاره في كتاب "نظرية السياسة الدولية" (Théorie de politique internationale) الصادر عام 1979 وسار في منواله زبنغنيوبريزينسكي (Zbigniew Brzezinski)، حيث لخص أفكاره في كتاب "رقعة الشطرنج الكبرى"(Le grandéchiquier) الصادر عام 1997، وقد تلخصت أفكار هذا التيار في أن الفواعل الدولاتية لا تتصرف على أساس إيديولوجي لكن من أجل الاستمرارية في البقاء والتوسع في النفوذ. فالديمقراطية ليست معيارا لتحقيق السلام، فهذا الأخير مرهون بدفاع القوى العظمى عن النظام القائم على تبعيتهم لحلفائهم للسيطرة على الأقاليم الواسعة. فهذا التيار يرى بأن الخطر الذي يواجه الولايات المتحدة الأمريكية هو إمكانية تحالف أوروبا أو اليابان مع الاتحاد

السوفياتي (روسيا حاليا)، وفي هذا الصدد يرى بريجينسكي أنه من الضروري على الولايات المتحدة الأمريكية سد الطريق أمام أي تقارب روسي أوروبي أو ياباني.

**المدرسة الفرنسية**

لم يبدي المفكرون الفرنسيون اهتماما كبيراً بالجيوبوليتيك، كمفهوم علمي جديد، وقد يفسر هذا مقارنة بالوحدة الفرنسية القديمة وكذا استقرار في الحدود الطبيعية، ولعل أهم ما أيقظ اهتمام الفرنسيين بالجيوسياسة هو طموح الألمان المتزايد في التوسع والقائم على "المجال الحيوي".

بداية الفكر الجيوسياسي الفرنسي كانت مع بولفيدال دولابلاش ( Paul Vidal de la Blache)، صاحب كتاب الجغرافيا السياسية ( La géographie politique) الصادر عام 1898، أي قبل ظهور مفهوم الجيوبوليتيك، وكذا كتاب "فرنسا الشرقية" (La France de l'Est)، الصادر عام 1917 أين تمكن دولابلاش من إنجاز دراسة جغرافية واجتماعية لمنطقة الشرق الفرنسي. يمكن القول أن دولابلاش عبر عن المقاربة الفرنسية المناهضة للطموحات الألمانية الرامية إلى السيادة الأوروبية.

من جهته استطاع فيرناند برودال (Fernand Braudel) أن يستلهم من أفكار دولابلاش ليطور مقاربة تاريخية جغرافية للجيوبوليتيك، وهذا من خلال عدة كتابات يمكن تلخيصها في عدد من المقالات التي نشرت بداية من 1969 بمجلة "كتابات في التاريخ" (Écrits sur l'Histoire)، لكن قبل ذلك كان له كتب جيوسياسي ذو طابع تاريخي وهو "المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني"

(La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II).

أندري شيرادام (André Cheradame) الذي كتب في 1902 "ألمانيا، فرنسا ومسألة النمسا" ( L'Allemagne, la France et la question d'Autriche)، فقد دعى شيرادام قبل الحرب العالمية الأولى، إلى ضرورة تحالف الأمم "الغير جرمانية" لخلق توازن للوقوف في وجه الطموحات الألمانية للسيادة

على أوروبا، حيث يرى أن النازية كسياسة متبعة من طرف ألمانيا ما هي إلا نتاج منطقي ومتوقع لخطة الرايخ التوسعية.

مقاربة أندري شيرادام تتقارب إلى حد ما مع مقاربة الأمريكي سبيكمان، غير أن شيرادام يرى أن محور الاهتمام في الريملاند هو أوروبا الوسطى والبلقان.

من جهته يرى جاك آنسل (Jacques Ancel) أن الحدود الطبيعية لا يمكن أن تشكل حدودا حقيقية، فالبحار والأنهار تقرب ولا تقسم، أما الجبال فما هي إلا عراقيل مادية وليست سياسية، أهم من هذا حسب آنسل هو العلاقات الإنسانية والرغبة في العيش معاً من جهة، وتحديد الحدود الجغرافية للدول من جهة أخرى. هذه الأفكار صدرت عام 1936 في مجلة جيوبوليتيك (Géopolitique) في مقال "جغرافيا الجبهات" (Géographie des fronts) وكتاب "الدليل الجغرافي للسياسة الأوروبية ما بين 1936 و1943" (Manuel géographique de politique européenne entre 1936 et 1943).

عرفت المدرسة الفرنسية نقلتها النوعية منذ إنشاء مجلة "هيرودوت" (Hérodote)[24]، وحتى المعهد العالي للجيوبوليتيك، أين حاول رواد هذه المدرسة في تلك الفترة إعطاء قيمة للأسس الجغرافية والإثنية والاجتماعية للعلاقات الدولية.

**مدارس الجيوسياسة الأخرى**

**المدرسة الروسية**

رفض الاتحاد السوفياتي مفهوم الجيوبوليتيك، بل وحاربه، حيث فضل السوفييت (الروس حاليا) الارتكاز على فكرة أن الإيديولوجية هي التي تقود العلاقات الدولية. وإذا كان هذا المفهوم النظري للجيوبوليتيك من وجهة نظر روسية، إلا أن الواضح ميدانيا أن الاتحاد السوفياتي ومن بعده روسيا قاما بالتركيز على محاولة السيطرة على منطقة أوراسيا وهذا بدافع القومية السلافية (panslavisme)[25]. ففي عام 1994 عرف القاموس العسكري الروسي الجيوبوليتيك بأنهاّ "سياسة عسكرية ذات طابع عدواني"[26].

رغم ذلك فقد اهتم الكسندر دي سيفرسكسي، وهو عسكري روسي، بالجيوسياسة، لكن نظرته كانت مختلفة عن من يرى في القوة التحكم في الأرض والتحكم في البحر، ليقدم وجهة نظر ترتكز أساسا على القوة الجوية، أي أن من يتحكم في المجال الجوي والفضائي فقد تحكم في العالم.

تجدر الإشارة في هذا المقام، أن هناك مدارس أخرى، وإن لم تلقى نفس الاهتمام والانتشار، مقارنة بالمدارس الجيوبوليتيكية السابقة، إلا أن كل منها حاولت خلق مقاربات خاصة بها، على غرار المدرسة اليابانية والمدرسة التركية والمدرسة العربية.

## الجيوسياسة والتحليل الجيوسياسي في العلاقات الدولية

يمكن تقديم مفهوم الجيوسياسية بلغة بسيطة على أنها "السياسة المتعلقة بالسيطرة على الأرض وبسط نفوذ الدولة في أي مكان تستطيع الدولة الوصول إليه". إذ أن النظرة الجيوسياسية لدى دولة ما تتعلق بقدرتها بأن تكون لاعبا فعّالا في أوسع مساحة من الكرة الأرضية. من هذا المنطلق فرض مفهوم الجيوسياسة نفسه على فروع علمية عديدة على غرار علم السياسة، الاقتصاد، القانون والتاريخ وغيرها، حيث يستعمل لتفسير الأوضاع المختلفة والصراعات والتنافس الدولي المتعلقة بمختلف المسائل والقضايا المهمة[27].

ومن أبرز الأمثلة على ذلك توسيع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وتحويل ولاء بعض تلك الجمهوريات من النفوذ الروسي إلى النفوذ الأمريكي، وعليه يكون الصراع الدولي على النفوذ، والتأثير في العلاقات الدولية، ودفاع الدول عن مصالحها الحيوية، ومحاولة فرض بعض الدول هيمنتها على دول أخرى، وما شابه ذلك من أعمال.

لكن السؤال المهم، هو هل يمكن اعتبار الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك علما قائما بحد ذاته ؟ إن البحث وراء الإجابة عن هذا السؤال تبقى نسبية وهذا لاعتبارات استخدام المفهوم في حد ذاته من قبل الباحث ووجهة نظره وأيديولوجيته، من هذا المنطلق يمكن القول أن من الصعب الجزم بأن الجيوبوليتيك تعتبر علما

لأنها ببساطة لا تقوم على قواعد محددة وشاملة ومتعارف عليها ، بل مازالت تخضع لإيديولوجيات وأهداف متباينة بين مستعمليها. لذلك يمكن القول أن الجيوبوليتيك هي فرع أو حقل علمي ووسيلة علمية للتحليل.

إن التحليل الجيوسياسي كمسعى يستلزم في البداية جمع المعلومات المختلفة حول الموضوع، سواء من الصحافة، الكتب والمجلات المتخصصة (الجغرافيا ، التاريخ، الاقتصاد ، علم الاجتماع وكل شعب العلوم الإنسانية)، فالجيوسياسة لم تعد تهتم اليوم بالجانب الفضائي (الجغرافي) والمادي للقضايا والمسائل والقضايا الدولية فقط، بل تجاوزت ذلك لتشمل التركيبة الإيديولوجية وكيفيات استعمالها ودراسة وتحليل المعطيات التاريخية والثقافية.

فيمكن طرح إشكالية التحليل الجيوسياسي انطلاقا من القول : لماذا يمكن لإقليم جغرافي ما أن ينتج مواجهات ؟ فالتحليل الجيوسياسي هنا يبحث عن إبراز وتفسير التحديات وحتى الرهانات المتعلقة بالفضاء الجغرافي محل البحث، وهذا من خلال دراسة خصائص وأطر تلك المواجهات، مثل الفواعل المحلية التي ساهمت في اندلاع تلك المواجهات إضافة إلى البحث في الأسباب والخلفيات التي أدت الفواعل المحلية إلى تلك المواجهات، وهذا كله دون إهمال تحديد الفواعل الخارجية التي ساهمت أو شاركت في تلك المواجهات، والأسباب التي دفعتها إلى ذلك.[28] وفي نفس السياق يعرف بريجينسكي (Brzezinski) الفاعل الاستراتيجي على أنه "كل دولة لها الإرادة والإمكانيات لبسط قوتها وسلطتها خارج حدودها" بينما يعرف بريجينسكي القطب أو المحور الاستراتيجي على أنه "كل دولة تكون أهميتها متعلقة أكثر بوضعيتها الجغرافية الحساسة مقارنة بقوتها الحقيقية"[29].

يرتكز التحليل الجيوسياسي على عدة عوامل أهمها العامل الجغرافي، عامل الوقت، العامل التاريخي

وتحليل الخرائط، فالجيوسياسة تقترح تحليل العلاقات الدولية بين الدول وهذا مع تحديد الفواعل والرهانات الخاصة بالسلطة في منطقة أو فضاء ما،

وهذا بالارتكاز على خرائط وإحصائيات، وهذا يختلف عن الجيوستراتيجية التي تهدف إلى تحضير استراتيجيات دبلوماسية، اقتصادية أو عسكرية.

مع بداية من السبعينات طرح إيف لاكوست الأسس التي يقوم عليها مفهوم الجيوسياسة، مختصرا ذلك في القول أن الجيوبوليتيك هي عملية تحليل صراع ومنافسة السلطات أو الأقاليم، فالجيوسياسة تعتبر الفضاء الجغرافي كاطار وكرهان، فالجيوسياسة حسب لاكوست تنتمي إلى "الجغرافيا الشاملة" (universelle géographie)[30].

من ناحية أخرى يمكن القول أن التحليل الجيوسياسي يقوم على دراسة العلاقة بين ثلاثة أمناط من الفواعل وهي: الدولاتية، العابرة للحدود الدولاتية وما بين الدولاتية مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الجغرافية كالموقع والتضاريس والمناخ..والعامل الهويتي كالعرق والجماعة والعشيرة والإثنية واللّغة والدين والحضارة إضافة إلى عامل الموارد الطبيعية للفضاء الجغرافي محل الدراسة كالماء والغاز والبترول...إلخ. ومن خلال هذه المعطيات يمكن للتحليل الجيوسياسي أن يضفي على دراسة العلاقات الدولية نوعا من الموضوعية والواقعية.[31]

عرفت الجيوسياسة تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة من خلال تضاعف الكتابات والبحوث في هذا المجال وفقد أرجع الباحث إيمانويل فابر (Emmanuel Fabre) تطور أهمية الجيوسياسة من خلال عملية إحصاء لعدد القواميس المتخصصة الصادرة في السنوات الأخيرة في مؤلفه About geopolitics, fromgeo political dictionaries، حيث أرجع أن أقدمها وأهمها هو "قاموس الجيوسياسة" الصادر عام 1993، والذي جاء في 1600 صفحة، وهو قاموس جماعي تحت إشراف المفكر الفرنسي "إيف لاكوست"، والذي استعان بدوره ب 48 مختص في عدد كبير من التخصصات والمجالات العلمية، لكن النصيب الأكبر كان من نصيب خبراء الجغرافيا بـ26 كاتب ثم تلاه تخصص العلوم السياسية بثمانية(08) كتاب إضافة إلى مؤرخون واقتصاديون وقانونيون وصحفيون دون إغفالإشراك خبراء اللغة،[32] وهو ما يؤكد تعاون عدة اختصاصات في فرع الجيوبوليتيك.

**مناهج التحليل الجيوسياسي**

تعتبر الجيوبوليتيك منهجا في حدّ ذاتها، لتحليل مشاكل العالم المعاصر، حيث تهدف إلى عرض تفسير واضح للأوضاع الراهنة، وهذا قدر الإمكان، حيث تهدف هذه الوسيلة أو المقاربة العلمية، من ناحية أخرى، إلى تنوير الرأي العام وصناع القرار، فيما يتعلق بالمشكلات المعاصرة وحتى اقتراح الوسائل للتصدّي لها أو على الأقل التعامل معها فيما يخدم مصالح الدول المعنية، وهذا من خلال منهج تطبيقي كان أو نظري[33].

تتفق نظريات الجيوبوليتيك إلى حدّ كبير مع النظرية الواقعية في العلاقات الدولية، القائمة على مبدأ القوة والسيطرة، لكن طبيعة هذه القوة والوسائل التي تساعد على السيطرة اختلفت من مُنّظِرْ إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى، فمثلاً البريطاني ماكيندرأشار أن البرّ هو بمثابة القوة والسيطرة الجيوبوليتيكية، بينما يرى رائد المدرسة الأمريكية للجيوسياسة ألفريد ماهانأن القوة والسيطرة الجيوبوليتيكية ترتبط بالبحار والمحيطات أما المفكر السياسي الأمريكي سبيكمان فقد أشار أن قوة السيطرة الجيوبوليتيكية ترتبط بالتحالف بين قوة البحر وقوة البر معا، بينما كان للمفكر الروسي الكسندر دي سفرسكسيعن المفكرين السابقين وقد رأى أن القوة والسيطرة للوضع الجيوبوليتيكي ترتبط بالسيطرة على الجو، والواقع أن النظرة التراكمية المرتبطة بمفهوم الأمن البحري تندمج مع مجموعة النظريات السابقة.

فإذا كانت الجغرافيا السياسية علما وصفي تحليلي يعالج العلاقات المكانية المتصلة بالوحدة السياسية، فإن الجيوبولتيكا يعالج هذا الموضوع ولكن في إطار المصالح القومية العليا، وفي إطار السياسة الدولية.

إيف لاكوست (Yves Lacoste) يرى أن الجيوبوليتيك هي دراسة الصراعات التنافسية للسلطات ما بين مختلف أإشكال السياسات، والهدف من الدراسة الجيوسياسية هو التحكم، الغزو، الدفاع أو استعمال إقليم جغرافي ما، وهنا نلاحظ أهمية الفضاء في الدراسات الجيوسياسية.

إذا كانت الجغرافيا السياسية تهتم بتحليل بيئة الدولة تحليلا موضوعيا، أمَّا الجيوبولتيك فتقوم على دراسة الدولة من ناحية مطالبها وأهدافها على مستوى السياسة الدولية.

**كيف يمكن أن نعرف الجيوسياسة اليوم ؟**

بعد أن قمنا بالرجوع إلى أصل نشأة الفكر الجيوسياسي قبل أن نتطرق إلى المفهوم كحقل معرفي جديد يجدر بنا الرجوع إلى أهم التعاريف التي أعطيت للمفهوم، ومن أهمها التعريف الذي جاء به رودولف كجلين وهو أن الجيوسياسة هي "البيئة الطبيعية للدولة والسلوك السياسي"، بينما عرّفها المفكر كارل هوسهوفر بأنّها "دراسة علاقات الأرض ذات المغزى السياسي، بحيث ترسم المظاهر الطبيعية لسطح الأرض، الإطار الجيوبوليتيكي الذي تتحرك فيه الأحداث السياسية[34]". ومن بين أهم التعريفات لمصطلح الجيوسياسية عند الغربيين أنها عبارة عن "الاحتياجات السياسية التي تتطلبها الدولة لتنمو حتى ولو كان نموها يمتد إلى ما وراء حدودها" ومنها أيضا ً "دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة".

أما فيرناند برودال (Fernand Braudel)فالجيوسياسة هي "دراسة السياسة في فضاء جغرافي

وإطار زمني، حيث تجيب على سؤالين مهمين الأول متعلق بمفهوم القوة والثاني حول تموقع هذه القوة".

أما بيار غالوا (Pierre Gallois) يعرف الجيوسياسة "أنها دراسة العلاقات الموجودة ما بين السياسة القائمة على أساس القوة على المستوى العالمي وإطارها الجغرافي".[35] وهو تقريبا نفس ما توصل إليه مورّو دوفارج (Moreau Defarges) عندما قال أن "التحليل الجيوسياسي لا يمكن يتم دون تحليل مسبق للأرض كحقل واسع ووحيد للمناورة".

من جهته يرى المفكر الفرنسي إيف لاكوست (Yves Lacoste) أن "الظاهرة الجيوسياسية هي تطور تاريخي للمنافسة والصراع على السلطات"، وهي أيضا "طريقة

جديدة لرؤية العالم وتجاوز قراءة المعطيات الاقتصادية واقتراح وسائل أخرى للبحث، في صالح التوسع الجغرافي". إذا يمكن القول أن إيف لاكوست قدم الجيوسياسة على أنها فكر متعلق بالفضاء الجغرافي والصراعات التي تحدث فيه[36].

أما باسكال لورو (Pascal Lorot) فيقول أن الجيوسياسة هي "منهج ذو خصوصية معينة، يحدد ويشخص ويحلل الظواهر ذات الطبيعة الصراعية، والاستراتيجيات الهجومية أو الدفاعية الهادفة إلى الحصول على إقليم (فضاء جغرافي)، وهذا تحت الرؤية الثلاثية لتأثيرات الوسط الجغرافي، كوحدة فيزيائية وبشرية، إضافة إلى الدوافع السياسية لقادة الصراع وأخيراً الاتجاهات المختلفة.

أيميريك شوبراد (Aymeric Chauprade) يعرف الجيوسياسة على أنها "دراسة إرادة القوة المطبقة على الأوضاع الجغرافية، الطبيعية والبشرية. وفي نفس السياق يعرف ميشال فوشى (Michel Foucher) الجيوسياسة على أنها"منهج شامل لتحليل الجغرافي للأوضاع السوسيوسياسية الملموسة وتحديد موقعها وإعادة وصفها". أما بالنسبة لكلافار (Claval)فالجيوسياسة "تأخذ بعين الاعتبار مجموع انشغالات الفاعلين الموجودين على الساحة الدولية (رجال دولة، دبلوماسيون، جيوش، منظمات غير حكومة، رأي عام ...إلخ) والتساؤل عن ماهية الجوانب المتعلقة بالفضاءات في الخطط المنجزة من قبل الفاعلين المختلفين"، أي أن الجيوسياسة عند كلافار هى محاولة طرح تساؤلات عن خطط كل الأطراف الفاعلة في مسألة ما للتمكن من فهم أسباب تصرفاتهم.

وعليه يمكن القول أن الجيوبولتيك ما هي إلا السياسة الخارجية للدولة من وجهة النظر الوطنية في حين يرى الفرنسى "ديمانجون" (Demangon) أنَّ الجيوسياسة شىء أخر فيعرفها، "على أنها عبارة عن مسعى وطنى الغرض منه الرعاية والتعليم، وأنها دراسات تهدف إلى تبرير الأهداف السياسية لدولة معينة".

خلال كل المقربات التي حاولت تفسير الجيوسياسة،عبر تطورها التاريخي، نلاحظ نوعا من الذاتية أو على الأقل، وقد أدى الاستعمال المفرط للجيوسياسة في السنوات القليلة الماضية إلى تحويلها من وسيلة وأداة علمية وحتى أكاديمية إلى ظاهرة إعلامية يستعملها كل من يريد أن يمارس تحليل العلاقات

الدولية من خلال عدد لا يستهان به من المجلات المتخصصة والجرائد وحتى القنوات التلفزيونية وهذا من خلال الصورة والتعليق لدرجة أنها أصبح يطلق عليها "الجيوسياسة الاستعراضية".

إن آخر ما يمكن قوله واستخلاصه من كل ما قيل حول الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك أن هذه الوسيلة للتحليل هي وليدة فترة معينة، وفضاءات جغرافية متعددة كما تطورت من حيث المفهوم والتطبيق حسب المراحل التاريخية التي مرت بها، وحسب المفكرين الذين استعملوها في تحليلهم للعلاقات الدولية المختلفة والمتطورة. إذاً الجيوسياسة دراسة حالات الصراع التنافسي للسلطات ونفوذها على إقليم معين. فالعلاقة بين السلطة والإقليم أين تمارس، أو تحاول الممارسة، أو منعت من الممارسة أو رفضت الممارسة أو لا تمارس كلية، هذه النظرة مستوحاة من تعريف سارج سير (Serge Sur) للقوة.

المفكر الفرنسي "بيار غالوا" (Pierre Gallois) يرى أن الجيوبوليتيك هي "دراسة العلاقات الموجودة التي تؤدي إلى خلق سياسة قوة في الإطار الجغرافي التي تنشط فيه". لذلك يؤكد "فيليب دو فارج" (Philipes de Farge) أنه لا يوجد تحليل جيوسياسي دون الأخذ بعين الاعتبار عنصر الأرض أو الفضاء محل الدراسة.

في الأخير يمكن القول أن الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك هي وسيلة للتحليل في العلاقات الدولية، ليس على أسس وقواعد علمية بقدر ما هي متعلقة بأيديولوجيات وخلفيات سياسية.

**الهوامش:**

1. جاسم سلطان، **الجغرافيا والحلم العربي القادم: جيوبوليتيك، عندما تتحدث الجغرافيا**، تمكين للأبحاث والنشر، بيروت، 2013، ص 9.
2. (484 – 425 قبل الميلاد)
3. AirtonPollini, **« Hérodote le père de l'Histoire »,** Histoire antique et médiévale 49, juin 2010, p. 13
4. محمد عبد الغني سعودي، الجغرافيا السياسية المعاصرة : دراسة الجغرافية و العلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 2010، ص 02.
5. Montesquieu, **L'Esprit des lois**, 3e partie, Livre XIV, chap. X.
6. عاش كارل ريتر في الفترة ما بين 1779 و 1859
7. Pascal Boniface, ibid, p20
8. محمد عبد الغني سعودي، مرجع سابق، ص 02.
9. محمد عبد الغني سعودي، مرجع سابق، ص02
10. Pascal LOROT, histoire de la géopolitique, Ed Economica, paris, 1995, p17. Voir : Rudolf Kjellén, *« Stormakterna » (les Grandes Puissances),* Stockholm, 1905.
11. RudolfKjellén, *«* **Statensomlifsform** *» (L'État comme organisme vivant),* Stockholm, 1920.
12. Pascal LOROT, op-cit, pp 17 - 18
13. Albert DEMANGEON A., « Géographie Politique » **Annales de Géographie**, Paris, 1932, pp.22-31
14. انعقدت في مدينة يالطا الروسية ما بين 04 و 11 فيفيري 1945 شارك فيها كل من ستالين ممثلا عن الاتحاد السوفياتي وروزفلت ممثلا عن الولايات المتحدة الأمريكية، و تشرتشل ممثلا عن بريطانيا، أين تم الاتفاق على تقسيم ألمانيا بعد هزمها إلى أربع مناطق محتلة من طرفهم إضافة إلى فرنسا.
15. Yves Lacoste, « La géopolitique : une histoire contrastée », **La revue pour l'histoire du CNRS** , http://histoire-cnrs.revues.org/8082 (consulté le 3012 2014).
16. Albert DEMANGEON A., « Géographie Politique » **Annales de Géographie**, Paris, 1932, pp.22-31
17. Michel Korinman, **« Friedrich Ratzel et la *PolitischeGeographie* »,** Hérodote, nº 28, 1983, p. 128-140

18. Pascal LOROT,op-cit, pp 09 10.

19. Michel Korinman, **« Friedrich Ratzel et la *PolitischeGeographie* »**, Hérodote, nº 28, 1983, p. 128-140

20. Aymeric Chauprade, **« Mackinder, théoricien de la suprématie anglo-saxonne »**, *La Nouvelle Revue d'Histoire*, nº 58,janvier-février 2012, p. 25-27

21. H.J. Mackinder, **"Democratic Ideals and Reality"**, National Defence University Press, Washington 1996, p. 175-194

22. Jim Cohen, **« Samuel Huntington dans l'univers stratégique américain »**, *Mouvements*, nº 30, 2003/5, pp. 3 -21

23. *Ibid.*

24. أنشأت مجلة "هيرودوت" الفرنسية عام 1979 من طرف المفكر الجيوسياسي المعاصر إيف لاكوست.

25. القومية السلافية هي حركة فكرية عقيدتها بناء دولة-أمة على أساس الهوية المشتركة بين الدول السلافية لمزيد من المعلومات انظر:

26. *Francis Dvornik , « Les Slaves : Histoire et civilisation, de l'Antiquité aux débuts de l'époque contemporaine »,(trad. Danielle Pavlevski) Éd Seuil, coll. « Univers historique », 1970 (1re éd. 1956), pp 797-798*

27. John Erickson, *« Russia Will Not be Trifled With: Geopolitical Facts and Fantasies »*, in Colin S. Gray and Geoffrey Sloan, Geopolitics, p. 242.

28. الموقع الرسمي للمعهد الفرنسي للجيوبوليتي.

l'Institut Français de la Géopolitique( http://www.geopolitique.net/institut/presentation)

29. Pierre Gourdin, **Géopolitiques : manuel pratique**, Choisieul, 2010, pp 33 - 37

30. Zbigniew Brzezinski**, « le grand échiquier»**, Ed Hachette, 2000, pp.68-69

31. Yves Lacoste**, Dictionnaire de géopolitique**, Ed Flammarion, 1993.

32. François Thual, **« Méthodes de la géopolitique »,**Ed Ellipses, 1996.

33. Yves Lacoste (sous dir.) ***Dictionnaire de géopolitique***, Paris, Flammarion, 1993

34. الموقع الرسمي للمعهد الفرنسي للجيوسياسة، مرجع سبق ذكره.

35. Pierre Gallois, *« Géopolitique, les voies de la puissance »,*Ed Plon Paris, 1990 .

36. Olivier David et Jean Luc Suissa, *« La dissertation de géopolitique »,*EdPUF,2005, p.6
Pierre Gallois, **« Géopolitique, les voies de la puissance »,**Ed Plon, Paris, 1990, p. 37